

آثار الفينيقيين

في قرطاجنة

قرطاجنة عاصمة الفينيقيين الافريقية كانت على مقربة من مدينة تونس الآن. دمرها القائد الروماني سيبيو افريكانوس في نهاية الحرب الفينيقية الثالثة سنة ١٤٦ ق. م بعد ان لقيت رومية منها اشد الاهوال. وقد اهتم بعض القاطنين في جوار موقعا القديم ان يحفروا ما طمر تحت ترابها من الآثار كما فعل الايطاليون في خرائب مدينة بومباي التي دمرها بركان زوف. وكان بعض الرهبان الفرنسيين اول من اقدم على هذا العمل واهتمت الحكومة الفرنسية باعمال النقب منذ عهد قريب فامتدت انما لمن هناك بكل ما يحتاجون اليه لمتابعة اعمالهم فوجدوا على عمق ٢٠ قدم آثار ثلاث مدن زهت اثناء ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة اقدمها مدينة مصرية. والثانية فينيقية وهي المدينة التي نشأ فيها ملكار وهنريال وحزمت رومية بقيادتهما. والثالثة مدينة رومانية بناها قياصرة الرومان بعد ما تغلبوا على القرطاجنيين فزهت في القرنين الثاني والثالث بعد المسيح ثم افنتها القانداال (١) وجاء بدم الروم البرنطايون ثم دخلتها جيوش العرب سنة ٦٩٨ م (٢٩ هـ) بعد فتح مصر ودارابلس وبرقة ثم ربت ما سلم من جيوش الفاتحين الاولين لم تهتم الحكومة الفرنسية بعد استيلائها على تونس بالنقب عن آثار قرطاجنة لانها صرفت انبهاها الى سياسة البلاد وادارتها فسهل على الاهالي الساكنين في جوارها ان ينهبوا ما يجدونه من قطع الفسيفساء والتماثيل وقواعد الاعمدة. وقد سبقهم الى ذلك بعض الاوربيين فنقلوا آثاراً ثمينة الى فلورنسا وبيزا زينت بها البيوت والكنائس. وبلغ الطمع من الكثيرين حتى اخذوا الحجارة من جدران البيوت القديمة واستخرجوا قواعد التماثيل المظمورة ونحتوها وبنوا بها بيوتهم ففقد بذلك كثير من الآثار الثمينة

(١) القانداال جبل من الشرب الذوتونية التي هاجت الامبراطورية الرومانية في فال واسبانيا في اواخر القرن الرابع وارايل القرن الخامس للميلاد ثم ايس مملكة في شمالي افريقيا بعد ان دخلها سنة ٤٢٨ م

ولكن الحكومة الفرنسية اهتمت بهذه الكوز التاريخية في الفترة القصيرة التي تلت الحرب الكبرى لانها اصدق سجل لتاريخ شعب عظيم. سميت لجنة التماثيل التاريخية ونظمت مصلحة الآثار التي انضوى اليها بعض علماء الآثار كلاب دلاتر والدكتور كارنون والسيو غوكار والسيو مرلين الذي عين مديراً



الساثر من تونس الى سيدي ابو سعيد في الضواحي يمر بالحندي الكبير الذي يفصل بين خرائب «التياترو» وخرائب «الستق». في الجانب الشرقي من هذا الحندق بقايا جدران متهدمة يتراوح علوها بين متر ومتر ونصف وهناك ايضا مذبح وقواعد تماثيل ومصارف للماء وحوض كبير وصور فسيفساء وما اشبه. وقرب هذا المكان وجد العمال سطحاً يؤدي الى مفارة سدت بحائط وجدوا وراءه كثر هيكل يظهر ان الكهنة اخفوه حينما داهمهم العدو وعثروا فيه على تماثيل ديمتر^(٢) فنقلوه الى متحف باردو^(٣) ولا شك في ان تاريخ هذا التمثال يرجع الى القرن الرابع قبل المسيح حينما ادخلت عبادة آلهة اليونان الى قرطاجنة وقد تولى السيو غوكار اعمال الحفر في منخفض من الارض يظنه الاب دلاتر مركز الاوديون (قاعة الموسيقى) فصدق ظنه ووجدوا على عمق سبعة امتار او ثمانية تماثلاً بديماً لابلو وعدداً من التماثيل السليمة ومائة قاعدة رخامية محفورة حفرًا دقيقاً

ووجدوا احد جدران المنبر في هذه القاعة وهو لا يزال قائماً وعثروا على كثير من الاعمدة الرخامية المختلفة الانواع وبعض القناطر التي بنيت عليها مقاعد القاعة المرتفعة وأكثرها مبني بالرخام الابيض. ومن اغرب ما وجدوا هناك مخادع صغيرة في الحائط الذي يحيط بموقف المنبتين ويظن انها صنعت كذلك لتقوية الاصوات ويقال ان اعادة هذا البناء الى اصله ليست بالامر الصعب

واكتشف الاب دلاتر بناء عظماً مؤلفاً من دورين وعثر على قبّة في جوانبها

(٢) الالهة الارض في الميثولوجية اليونانية (٣) قصر على ميل وربع الى الشمال الغربي

اثنا عشر عموداً من الفرانيت يفصل بينها طاقات في شكل انصاف دائرة واكتشف غوكار قرب موقع الاوديون شارعاً مرسوماً وعلى جانبيه سفان من الاعمدة يؤدي الى بقعة فيها كثير من الساكن الفخمة حيث عثر على قطع كثيرة من الفسيفساء البديعة النقش . وحفر في اواسط المدينة آثار كنيسة فيها صور فسيفساء وعمل للشميد وقواعد اعمدة رخامية مما يدل انها من آثار المدينة التي بناها قياصرة الروم

واكتشف السيورمان جزيرة الاميرالية الفينيقية حيث عثر على قصر مملوك والد هنيبال وثبت ذلك من قراءة الكتابات الفينيقية التي وجدت عليه ومن هيئة احد الاعمدة التي عثروا عليها فانها تتفق كل الاتفاق مع الوصف الذي كتبه ايبان (٤) عن هذا القصر

ومن الآثار المهمة صهاريج «البرج الجديد» وقد رمت الآن واعيد استعمالها لجر الماء الى شبه الجزيرة

واكتشف الدكتور كارتون خرائب المستق الموصوف بذي الف عين وهو حوض كبير في مكان جميل يشرف على البحر يمتلئ من نبع كان اول نبع اكتشف في قرطاجنة ثم يترشح الماء المجتمع في هذا الحوض يمروروني رواق الترشح المؤلف من حجارة ضخمة ذات مسام ثم يجري الى حوض آخر والحوض والمجرى مقبوتان لحفظ الماء من التلوث بالفبار وغيره وواجهة هذا المستق مزخرفة بالنقوش البديعة . وعلى بضع خطوات منه حائط يبلغ علوه ١٢ متراً وتحتاه ٤٠ متراً وهو الضخم الآثار التي عثر عليها حتى الآن ويظن انه بقية زاوية من السور الضخم الذي يدعى «سور البحر القرطاجني»

وقد اخذ العلماء يسرون الارض في محلات عديدة والامسل وطيد انهم سيكشفون آثاراً نفيسة يصدق عليها وعلى اصحابها قول الشاعر
هذه آثارنا تدل علينا فانظروا بدنا الى الآثار

فان كانت آثار الفينيقيين في بلادهم الاصلية قد تبعد أكثرها او تلف فأثارهم في قرطاجنة باقية شاهدة بمظمتهم

(٤) مؤرخ روماني عثر في اواخر القرن الاول واواخر القرن الثاني لليلاد